وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت /كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ/دكتوراه إسلامي

المادة الدولة العباسية

عصر القوة (170هـ_232هـ) جـ3 (هارون الرشيد , الامين)

أ.د حنان عبد الرحمن طه

اولاً: هارون الرشيد(170هـ-193هـ)

يعتبر الرشيد من أوسع الخلفاء العباسيين شهرة، وقد تجاوزت شهرته الشرق. ووصلت إلى الغرب حيث تناولها المجتمع الغربي بالتحليل والدراسة، وحاول بعض ملوك أوروبا التقرب منه، واكتساب مودته.

كان الرشيد متديناً ورعاً، محافظاً على التكاليف الشرعية، متمسكاً بنصوص الكتاب والسنة، كان يحج إن لم يغز، فهو بين حج وغزو طيلة حياته، يصلي في اليوم مائة ركعة، وحج ماشياً، ولم يحج ماشيا خليفة غيره، ولم يهمل الحياة العائلية. يحب الشعر والأدب والفقه، قرب الشعراء والمغنين والأدباء والفقهاء وأكرمهم، وشجع حركة التعريب, واتسمت جلساته الليلية بالمناقشات الفكرية الرفيعة. يعتبر عصر هارون الرشيد، العصر الذهبي لدولة الخلافة العباسية، فقد بلغت في عهده درجة لم تصل إليها من قبل، فأصبحت مركز التجارة العالمية، وكعبة رجال العلم والأدب، أما شخصيته فتمثل تاريخ عصر أكثر مما تمثل تاريخ إنسان.

1.الأوضاع الداخلية في عهد الرشيد

أراد الرشيد، في مستهل حكمه أن يستميل الطالبيين عن طريق الرفق بهم بعد سياسة الهادي العنيفة تجاههم، فعال إلى التساهل، والتعاطف معهم، وبذل لهم الأمان، ورفع الحجر عمن كان منهم في بغداد، وأعادهم إلى المدينة، لكن الطالبين لم يعدلوا اعتقادهم الراسخ بأحقيتهم بالخلافة ولم يتوقفوا عن النقال في سبيل الوصول إليها. ومن أجل ذلك لم يدم الصفاء بين الجانبين العباسي والعلوي، وعاد الصراع عتيقاً بينهما. كانت موقعة فخ بعيدة الأثر، فقد نجا منها اثنان من زعماء الطالبيين هما إدريس بن عبد الله بن الحسن وقد ذهب إلى إفريقية، وأخوه يحيى الذي يتم وجهه شطر بلاد الديلم في المشرق.

أما إدريس فقد استقر في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى، وحظى بالتفاف البربر حوله، وأقام لنفسه دولة مستقلة هي دولة الأدارسة، وهي أول دولة طالبية تفصل من جسم الخلافة العباسية هددت هذه الدولة النفوذ العباسي في شمالي إفريقية، لذلك قرر الرشيد القضاء عليها. إنما تردد في إرسال جيش بفعل بعد المسافة، وخشيته من امتداد نفوذ إدريس إلى مصر وبلاد الشام إن هو تغلب على الجيش العباسي، وبالتالي القضاء على دولة الخلافة العباسية.

فلجأ عندئذ إلى الحيلة ليتخلص من إدريس، ووقع اختياره على رجل مشهور بالدهاء هو سليمان بن جرير المعروف بالشماخ، فاستخدمه لاغتياله، وفعلاً تمكن، هذا الرجل، من قتل إدريس بالسم في عام ١٧٧ هـ . أن موته لم يقض على دولة الأدارسة، فقد كان متزوجاً من أمة بربرية حملت منه، فانتظر أتباعه حتى وضعت، وكان مولوداً ذكراً، فأسموه إدريس، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ولاه البربر أمورهم وبايعوه بالخلافة وأضحى المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة في المغرب. ولما ازداد خطر هذه الدولة، أقطع الرشيد إبراهيم بن الأغلب ولاية إفريقية ليقف في وجهها.

وأما يحيى، فقد اشتدت شوكته في بلاد الديلم، وقوي أمره بما التفت حوله من الأتباع، ثم أعلن خروجه في عام ١٧٦ هـ فهذه سلامة الدولة، وأقلق بال الرشيد . ومما أعطى حركته قوة، بعد المنطقة التي خرج فيها عن بغداد، ومناعتها الطبيعية واستقر رأي الخليفة على القضاء على حركة يحيى، فندب الفضل البرمكي لهذه الغاية، الذي نجح في استمالته بعد أن حشره إثر انقضاض أتباعه من حوله، وتم إلى الصلح وكتب له الرشيد أماناً، واستقبله في بغداد.

2.حركة الخوارج

لم يكن الاضطراب الذي ساد بعض أجزاء دولة الخلافة العباسية ناشئاً عن حركات الطالبيين وحدهم، بل وجد فريق من المسلمين أنكر على الخلفاء العباسيين استبدادهم وخروجهم على الأحكام الشرعية، وهؤلاء هم الخوارج الذين نشطوا في عهد الرشيد في منطقة الجزيرة اعتباراً من عام ١٧٨ هـ بقيادة طريف الشاري وسطوا هيمنة فعلية على أرمينيا وأذربيجان وهددوا السواد في العراق على نهر ديالي، ووصلوا إلى حلوان. اهتم الرشيد بأمر هذه الجماعة، فأرسل قوة عسكرية في عام ١٧٩ هـ بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني اصطدمت بها في حديثة الفرات على بعد فراسخ من الأنبار، وقضت عليها وعلى زعيمها .

3.نكبة البرامكة

ظلت فكرة الثأر لمقتل أبي مسلم، وتحقيق تطلعاته السياسية، كامنة في نفوس أتباعه الخراسانيين وأخذت هذه الفكرة منهجاً جديداً، مع مرور الزمن، يقضي بالسيطرة على دولة

الخلافة العباسية من الداخل، بعد فشل محاولات النيل منها من الخارج. وقد قام عدد من الوزراء العباسيين من أسر فارسية بتحقيق ذلك كان من أشهرها أسرة البرامكة وأسرة آل سهل والأسرة الظاهرية . تنتسب أسرة البرامكة الفارسية العريقة إلى جدها برمك، وهو لقب أطلق على سادن معبد النوبهار في مدينة بلخ.

وبرز من هذه الأسرة، في أوائل عهد دولة الخلافة العباسية، خالد بن برمك من خلال مقدرته الإدارية والمالية، ورجاحة عقله، وبعد نظره، فلفت إليه أنظار المسؤولين العباسيين، وظلت له مكانته في عهد المهدي الذي ولاه مقاطعة فارس في عام١٦٣ هـ. أنجب خالد رجلاً يعتبر واسطة عقد الأسرة البرمكية هو يحيى، وقد ارتبط تاريخه بتاريخ هارون الرشيد. تولى الكتابة له، والنيابة عنه ووزارته وقد د الى دوراً بارزاً في تأمين ولاية العهد له في مواجهة الضغوط الكبيرة التي مارسها المهدي بهدف تنحيته وتولية ابنه جعفر بدلاً منه. ولما بويع الرشيد بالخلافة حفظ ليحى فضله، فقلده وزارة التفويض ومنحه سلطات مطلقة ، فكانت الدواوين كلها بيده، واجتمعت له الوزارتان كما خصه بامتيازات جديدة.

واستطاع يحيى بمساعدة ولديه الفضل وجعفر، إدارة دولة الخلافة العباسية مدة سبعة عشر عاماً ١٧٠ - ١٨٧ هـ في الحكم، وتعتبر هذه الفترة بحق، فترة تألق البرامكة وعصرهم الذهبي. أما الفضل، فهو أخو الخليفة الخليفة بالرضاعة، عهد إليه الرشيد بالإشراف على تربية ابنه الأمين، وولاء هذا مناصب إدارية وقيادية، خاصة في المشرق حيث حقق نهضة اقتصادية وعمرانية، ووجد الأمن , وأما جعفر، فقد اختص بمنادمة الرشيد وخدمته لسهولة طباعه فكان يلازمه في ليله ونهاره، فهو أكثر البرامكة اتصالاً به، وكان يسميه أعاء ويدخله معه في ثوب واحد . ونتيجة لهذه الإلفة، وصل تأثير جعفر على الرشيد حداً بعيداً حتى غلب على خصوصياته، فأشركه معه في المظالم، والده مراقبة دور الضرب والطراز كما أمر بكتابة اسمه على الدراهم والدنانير بمدينة السلام وبالمحمدية وأسند إليه ولاية المغرب من الأنبار إلى افريقية، بالإضافة إلى خراسان وسجستان و طبرستان وأرمينيا وأذربيجان وطبيعي أنه من موقعه هذا كان يوحي الرشيد بانتهاج سياسات معينة.

معظم الرجال البارزين في الدولة كانوا من صنائعهم وأتباعهم، لدرجة أن الرشيد وجد صعوبة كبرى في العثور على رجال ممن لم تكن لهم صلة بهم ليتولوا بعض شؤون الدولة .بلغ أوج هذه الأسرة في حياة الخيزران والدة الرشيد، فلما توفيت في عام١٧٣ هـ بدأت ثقة الخليفة بأفرادها تهتز حتى نكل بهم.

.

اختلف المؤرخون في تحديد أسباب تكية البرامكة، ويبدو أن هذا الاختلاف ناتج عن تحديد الدور الذي آلاء هؤلاء، حيث تعصب الرواة لهم أو عليهم، بالإضافة إلى تكتم الرشيد حول هذه الأسباب. والراجح أن هذه الأسباب تعود إلى دافعين رئيسيين، سياسي ومالي فمن حيث الدافع السياسي، فقد اتضح الرشيد، بعد مضي بضع سنين على ظهورهم ، أن البرامكة أضحوا يشكلون خطراً فعلياً على دولته، وقد كون هذا الانطباع يفعل عدة عوامل لعل أبرزها ميلهم إلى الطالبيين وميولهم العنصرية. لقد أظهر البرامكة ميولاً سياسية نحو الطالبيين، ويرتبط تاريخهم بتعاطفهم مع يحيى بن عبد الله العلوي، ويتعارض ذلك مع العلاقات العدائية بين العباسيين والطالبيين.

ومن حيث الدافع المالي ، فقد استبد البرامكة بمالية الدولة، وتحكموا بالأمور كلها حتى قبل إن الرشيد يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه في الوقت الذي كان البرامكة يسرفون في النفقات، وقد قيدوا الخليفة في هذا التصرف المالي، كما كيلوه في تصرفه السياسي. يضاف إلى ذلك، أن الوشاية قد أدت دوراً آخر في التأثير على الرشيد للإيقاع بهم، إذ حاول خصومهم انتهاز كل فرصة لإيغار صدره عليهم، وإثارة شكوكه في تصرفاتهم ومهما كانت الاسباب فقد تم التنكيل بهم والقضاء عليهم سنة 187هـ.

وفاة الرشيد وولاية العهد:

اختار الرشيد في عام ١٧٥ هـ ابنه محمد الأمين وليا للعهد مع أنه لم يكن قد تجاوز الخاصة من عمره وفضله على أخيه الأكبر عبد الله المأمون بتأثير من زوجته زبيدة وأخواله بني هاشم والفضل بن يحيى، إلا أن بعض بني هاشم انكروا بيعته نظر الصغر سنه . وفي عام ١٨٣ هـ بايع الرشيد لابنه عبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين، وولاه خراسان وما يتصل بها من همدان إلى آخر المشرق، وكان ذلك بتأثير جعفر بن يحيى وفي عام ١٨٥ هـ بابع الرشيد لابنه القاسم بعد المأمون ولقبه المؤتمن وولاء الجزيرة والثغور والعواصم، وكان ذلك بتأثير عبد الملك بن صالح.

وهكذا وقع الرشيد في خطأ أسلافه، بفعل عشيته على الحكم من بعده، وبدا هذا التعيين الأولياء العهد وتجزئة الدولة بينهما وكأنه خطر يهده الدولة بالحرب الأهلية. وفعلاً الى التنافس بين الأخوين الكبيرين المأمون والأمين، في حياة الرشيد.

وقد وحج الرشيد في عام ١٨٩ هـ واصطحب معه ولديه التنفيذ ما اتفق عليه، فأخذ العهد عليهما بألا يتدخلا في شؤون بعضهما البعض، وفي شؤون أخيهما المؤتمن وعلق نسخة من العهد في فناء الكعبة ليزيد في قدسيته وليؤكد تنفيذه خرج الرشيد من بغداد في عام ١٩٣ هـ قاصداً خراسان لوضع حد الثورة رافع بن الليث، واستخلف ابنه محمد الأمين على بغداد، واصطحب معه ابنه عبد الله المأمون، وكان الرشيد يشكو من علة في بطنه ويرتدي حزاماً تسكين الألم. ولما وصل إلى طوس في شهر صفر، اشتدت عليه العلة حتى عجز عن القيام. وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

ثانياً: محمد الأمين (193هـ-198هـ)

بويع له بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد ويعهد منه اشتهر يحسن الأدب، وكان عالماً بالشعر، فصيح اللسان لكن غلب عليه الهوى واللعب وضعف الشخصية، تأدب على الكسائي وقرأ عليه القرآن اشتهر بحبه لأصحابه وعطفه عليهم، لكنه فشل كقائد وتحاكم.

أسباب النزاع بين الأمين والمأمون:

ترجع جذور النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون إلى ثلاثة أسباب هي : مشكلة ولاية العهد - الصراع العنصري العربي والفارسي - أطماع الحاشية.

1.مشكلة ولاية العهد

تعتبر هذه المشكلة إحدى أقوى الأسباب يفعل الطموح إلى السلطان، والعوامل النفسية التي الثابت الأمين تجاه أخويه، فكان البادي، بنقض بنود العهد، واتخذ هذه خطوات كانت كفيلة بتفجير الوضع، في الوقت الذي كتب فيه والده العهد عليه وعلى أخيه المأمون وعلقه في فناء الكعبة، نوى الأمين الغدر إلا عندما طلب منه جعفر البرمكي أن يحلف بعدم نقض البيعة أجابه إلى ذلك وقال: خذلني الله إن خلاله، ورددها ثلاث مرات، ولما خرج قال للفضل بن الربيع فيا أبا العباس، كنت أحلف وأنا أنوي القدرة, ان نية القدر كانت موجودة بالامين وكان يريد خلع اخيه ومبايعة ابنه موسى.

2. صراع عنصري

أخذت ملامح الدور السياسي الذي أداء كل من الفضل بن سهل كاتب المأمون ومديره الذي مثل العنصرية الفارسية في الإدارة العباسية، والفضل بن الربيع الذي مثل التطلعات العربية، تظهر بشكلها المحدد في الفترة التي سبقت وفاة الرشيد مباشرة. الأمين وحزبه فأخذ الأول، مدفوعاً بنزعته العنصرية، وخشيته من وفاة الرشيد بعد تفاقم مرضه يسعى ليضمن حق المأمون في الخلافة ويحميه من استبداد أخيه وحاشيته ولعل أول. خطوة أقدم عليها التحقيق آماله أنه أقنع المأمون بمرافقة والله إلى خراسان ليلتمس فيها الأنصار، وليعته ولا من سطوة وانكشفت نوايا كل من الطرفين بعد وفاة الرشيد، وظهر التناقض بينهما واضحاً في وجهات النظر السياسية. وكان الرشيد، لدى اشتداد المرض عليه، جدد البيعة للمأمون بعد الأمين. ولما علم الأمين بشدة مرض والله أرسل بكراً بن المعتمر إلى خراسان ومعه كتب ظاهرها عيادة والده، وباطنها أمر إلى القوم بالعودة إلى بغداد مع الأعتدة.

3. أطماع الحاشية

وقعت حاشية الأمين، خاصة الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان، وراءه بقوة ودفعاه إلى نكث العهد، في حين كانت الدلائل تشير إلى ميله للوفاء الأخويه رقم حتى يظفر به كرهينة، ويفصل بينه وبين جنده، تمهيداً لخلعه وصرف ولاية العهد من إلى ابنه موسى التصريحاته السابقة، ونصحه الفضل بن الربيع بأن يستدعي أخاه المأمون إلى بغداد. بعده ومن جهته، فقد وقف الفضل بن سهل خلف المأمون وأوعز إليه بالاعتذار عن الذهاب إلى بغداد بحجة أن أمور خراسان تستدعي بقاءه فيها. وهكذا الى تدخل رجال المعاشية إلى تأجيج النزاع الذي وصل إلى حد الصدام.

مراحل النزاع بين الأمين والمأمون:

ان النزاع بين الأمين والمأمون بمرحلتين مرحلة المفاوضات السلمية التي انتهت في عام ١٩٥ هـ ، ومرحلة الحسم العسكري التي انتهت بمقتل الأمين في عام ١٩٨ هـ .

اتخذ النزاع، في باديء الأمر، شكل سفارات ومراسلات متبادلة بين الأخوين حول قضية ولاية العهد والصلاحيات الخاصة بالخليفة . ونهج الأمين السلوك السياسي المخادع الاستمالة أخيه، واستقطاب حاشيته وفي نيته عزله من ولاية العهد فأظهر التودد له ومن جهته، فقد تصرف المأمون بشكل بعث الطمأنينة في نفس أخيه، فبعث إليه بمراسلات

تعظمه، وأهدى إليه هدايا كثيرة من طرف خراسان ثم حدث أن تنتزع الأمين من أخيه المؤتمن كل ما بيده واستقدمه إلى بغداد. وكتب في الوقت نفسه إلى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له والمأمون والقاسم، ولما سمع المأمون بذلك، أدرك أن الأمين ينوي تغيير العهد.

لم ييأس الأمين من محاولته الإيقاع بأخيه المأمون وقرر تجريده تدريجياً من كل ما بيده، فكتب إليه يطلب منه أن يتخلى له عن بعض كور خراسان سماها له، وأن يوجه العمال إليها باسمه، وأنه عازم على تعيين موظف من قبله على البريد ليكتب إليه بخبرها، باعتباره خليفة المسلمين ويستطيع التصرف في أمور خراسان كما تقضي المصلحة العامة استشار المأمون شيعته في طلب أخيه فأشاروا عليه جميعاً بإجابته باستثناء الفضل بن سهل الذي رفض العرض، قوان فوافقه المأمون وكتب إلى أخيه بذلك .

وفي المرحلة الثانية من النزاع سير الأمين جيشاً، بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، والي خراسان السابق لقتال أخيه، تقدم إلى الري حيث كان جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين بانتظاره، والتحم الجيشان في رحى معركة قاسية، أسفرت عن انتصار جيش المأمون. ومقتل علي بن عيسى. ولم تكد أنباء النصر تصل إلى مقر المأمون في مرو، حتى بايع الناس المأمون بالخلافة والواقع أن الأمين أخطأ تقدير الموقف السياسي والعسكري، أو غرر به التعيين على بن عيسى على رأس قواته، لأن هذا التعيين كان قاضياً . على الأمل في استمالة الخراسانيين، نظر الكراهيتهم له، مما أثار حميتهم، فاستمالوا بالقتال. أثارت أنباء هزيمة جيش الأمين الفزع في بغداد، مما دفع الخليفة إلى تجهيز جيش آخر وأرسله إلى خراسان بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنباري، للتصدي لزحف طاهر ووقعت المعركة الثانية قرب همدان، انتصر فيها جيش المأمون أيضاً. وسيطر ظاهر على المدينة ثم واصل زحفه الى بغداد يرافقه هرثمة بن أعين ، ولما وصلها، ضرب عليها حصاراً مركزاً قديت فيها الفوضى وشهدت شوارعها اصطدامات داخلية بين مؤيدي الطرفين. وتمكنت قوة خراسانية من دخولها وأسرت الأمين، وأعلنت خلعه، لكن المناصر العربية قامت بهجوم مضاد، وتمكنت من إطلاق سراحه، وأخرجت الخراسانية من المدينة.

وانتهت المقاومة، ودخل طاهر المدينة عنوة، ووجد الخليفة نفسه أمام أحد خيارين : إما القيام بمحاولة أخيرة الاختراق صفوف الخراسانية، وإما الاستسلام وطلب الأمان. ولما لم يكن معه من الرجال ما يساعده على المقاومة، فقد فضل الاستسلام للقائد هرثمة بن أعين، وقد اختاره بسبب قسوة طاهر، لكن هذا الأخير كمن له في النهر وقبض عليه وسجنته، ثم اقتحم عليه عدد من الجنود الخراسانية سجنه وقتلوه، وكان ذلك في محرم عام ١٩٨ هـ .